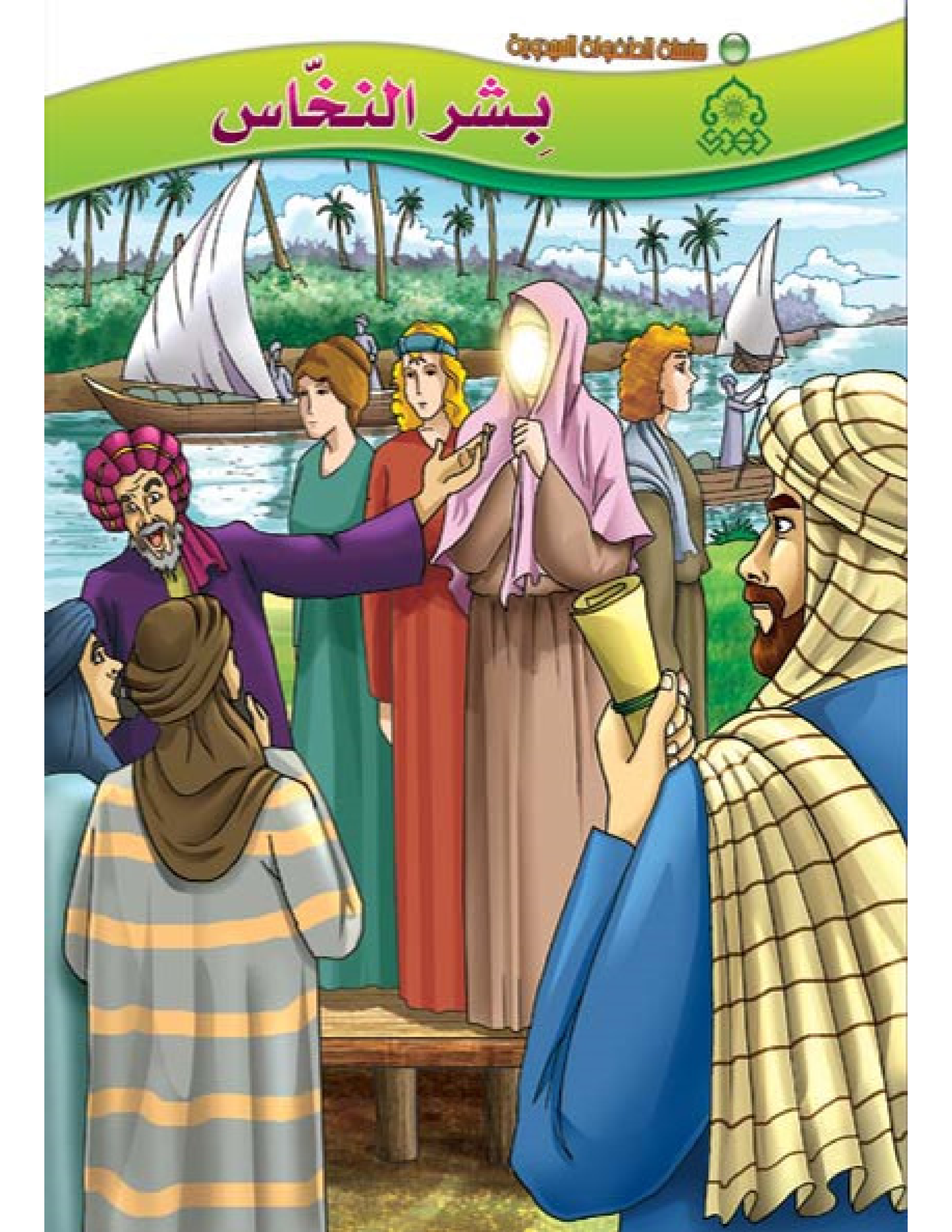
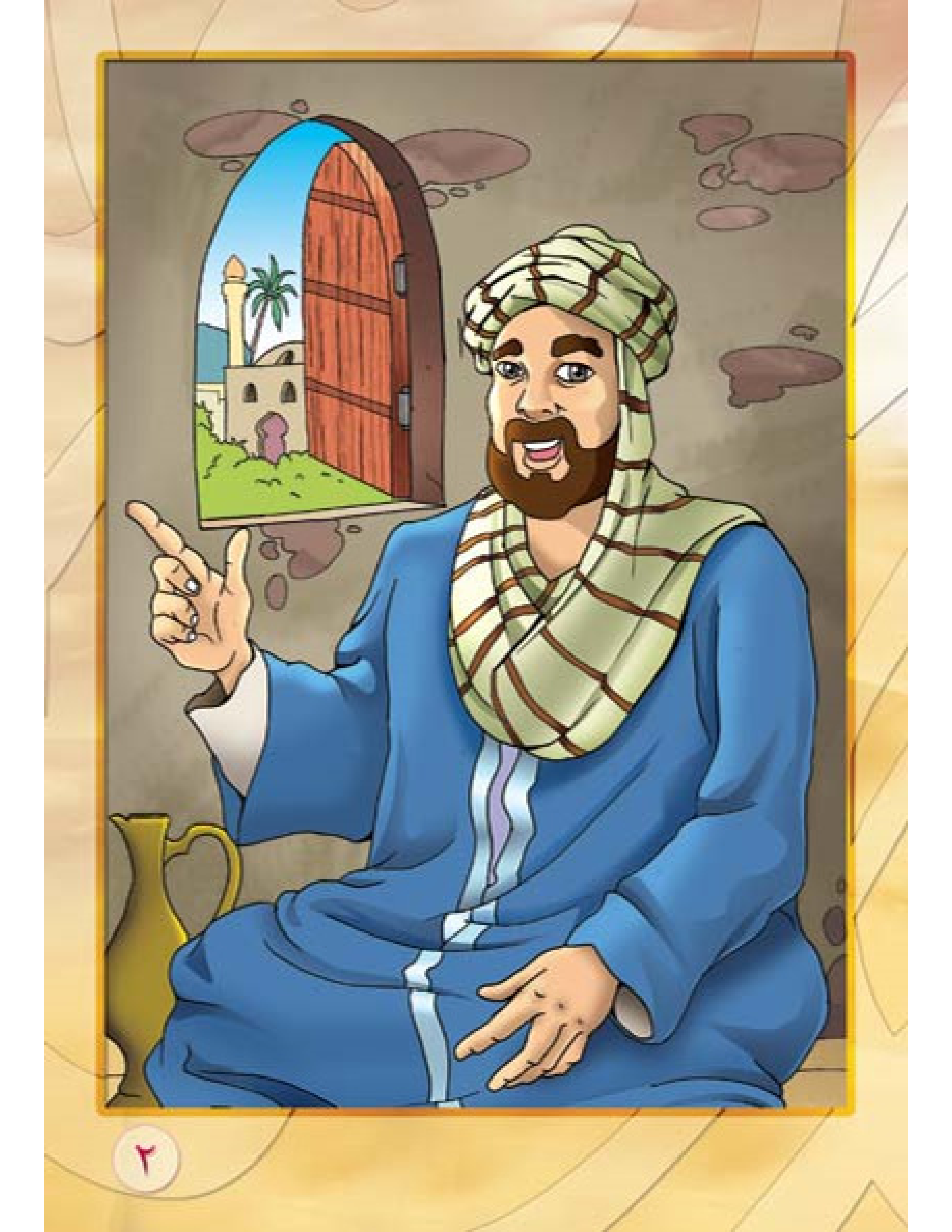

بِشر النخّاس

بِشر النخّاس

بشر: أهلاً ومرحباً بكم يا أعزائي ـ أتعرفون من أنا ومن أكون وما هي مهنتي؟ أظنكم لا تعرفون ذلك.. حسناً حسناً سأعرفكم أنا بنفسي: اسمي (بشر بن سليمان) وأرجو أن لا تنسوا اسمي هذا، لأنه سيمر عليكم كثيراً. وقصتي معروفة وأنا من أحفاد الصحابي الجليل المعروف (خالد بن يزيد) والمشهور بأبي أيوب الأنصاري، وقد كان جدي أبو أيوب من أوائل المسلمين الذين أسلموا في المدينة وبايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة، وعندما هاجر النبي ﷺ الى المدينة تشرف بيت جدي بنزول النبي ﷺ فيه ضيفاً لمدة شهر إلى أن أكمل المسلمون بناء مسجد وبيت للنبي ﷺ ، فانتقل النبي ﷺ من بيت جدي إلى بيته الجديد في المدينة، وكان جدي من الذين شاركوا مع النبي ﷺ في جميع غزواته وكان من محبي وصيّه أمير المؤمنين ﷺ. وتوفي جدي حينما خرج مجاهداً لقتال الروم سنة ٥٠هـ قرب مدينة القسطنطينية ودفن عند سورها. وبعد أن عرفتكم باسمي ونسبي



سأحدثكم عن مهنتي فأنا أعمل نخاساً. وهي مهنة قديمة، وقد تكون غير موجودة في زمانكم، فالنخاس هو الذي يبيع ويشتري الخدم من الرجال والنساء، فحينما يخرج المقاتلون للقتال فإنهم يأخذون الأسرى من الرجال والنساء ويبيعونهم في السوق.

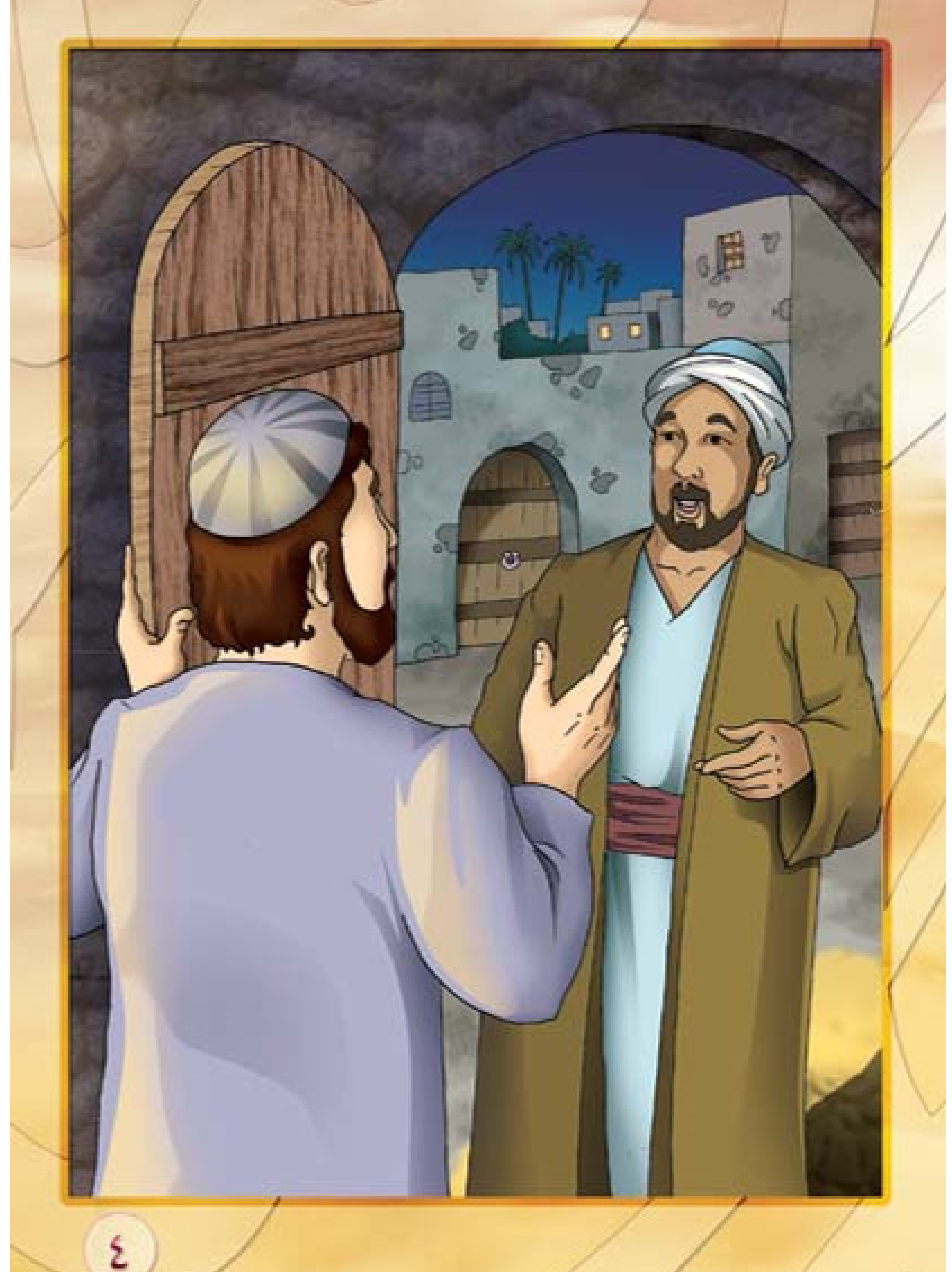
والآن بعد أن عرفتم بمهنتي، سأقص عليكم قصتي. كنت أسكن في مدينة سامراء وكنت جاراً للإمام علي الهادي ﷺ وكان بيتي قريباً من بيته، وكنت من محبيه وطلابه، فتعلمت عنده أحكام الدين، وتفقهت في مسائل البيع والشراء وبالأخص في مسائل بيع وشراء الخدم، حتى أصبحت عالماً بمسائل الحلال والحرام، وكيف أميز بينهما. وذات ليلة بينما كنت في منزلي بمدينة سامراء سمعت طرقاً على الباب فاستغربت من ذلك، وقلت في نفسي: من عساه يكون، وكان الوقت منتصف الليل.

بشر: من الطارق؟

كافور: افتح يا بشر أنا كافور خادم الإمام علي الهادي ﷺ.

بشر: فأسرعت نحو الباب وفتحتها، فرأيت كافوراً واقفاً هناك.

كافور: إن سيدي الإمام علي الهادي ﷺ يدعوك الآن.



بشر: في هذا الوقت؟

كافور: نعم.

بشر: لابد أن هناك أمراً مُهمّاً يدعوني لأجله ألا تدري ما هو؟

كافور: لا... آسف لا أعلم.

بشر: حسناً سأحضر بعد قليل ريثما أغيِّر ثيابي.

كافور: سأنتظرك عند الباب.

بشر: وبسرعة يا أصدقائي قمت بتغيير ثيابي، وذهبت برفقة كافور إلى بيت الإمام ﷺ ولما دخلت على الإمام وجدته جالساً في الغرفة مع ابنه الإمام الحسن العسكري ﷺ وكانت السيدة حكيمة أخت الإمام علي الهادي ﷺ جالسة في الغرفة أيضاً. وقد جعل الإمام بينها وبيننا ستراً بحيث تسمع كلامنا فسلمت عليهم فردَّ عليَّ السلام وأمرني بالجلوس الى جنبه.

الإمام علي الهادي: يا بشر إنك من ولد الصحابي أبي أيّوب الأنصاري الذي كان محباً لجدي رسول الله ﷺ ولوصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وهذه المحبة والطاعة لنا لم تزل فيكم يرثها آباؤك عن أجدادك. فأنتم من المحبين لنا ونحن نثق بكم وأنا أريد أن أشرفك بفضيلة تفتخر بها على سائر الشيعة.



بشر: وما هي يا مولاي فأنا رهن إشارتك.

الإمام علي الهادي ﷺ: سأطلعك على سرٍّ لا تخبر به أحداً أيام حياتي.

بشر: أنا في خدمتك يا سيدي، فسرّك في قلبي هنا، ولا أبوح به لأي كان ما دمت حياً.

الإمام علي الهادي ﷺ: حسناً يا بشر ستذهب إلى بغداد عند فجر يوم غد ومعك هذا الكتاب خذه وانظر ما فيه.

بشر: إنه مكتوب باللغة الرومية وبخط رومي وهذا توقيعك وختمك يامولاي.

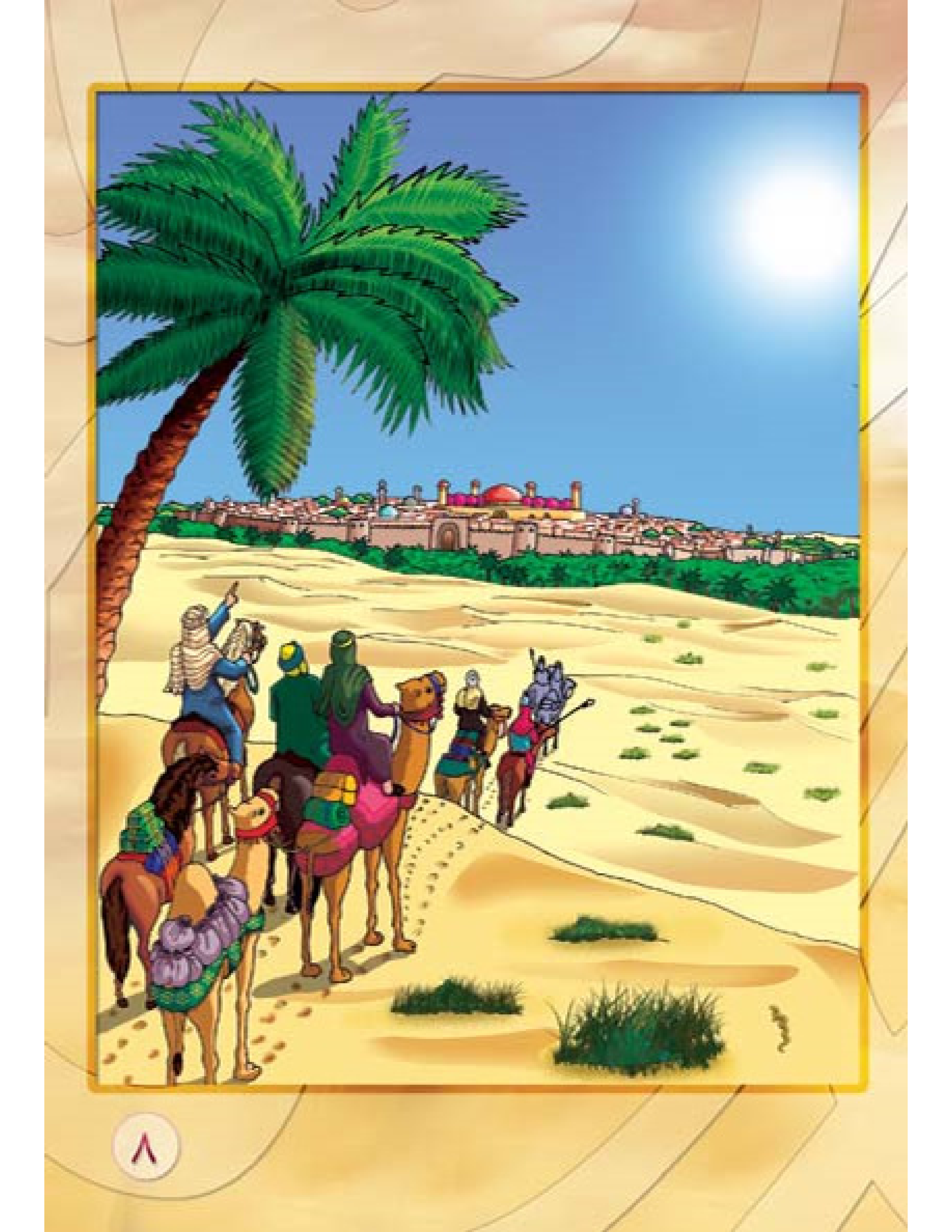
الإمام علي الهادي ﷺ: نعم يا بشر إنه مكتوب بخطي وتوقيعي.

بشر: وإلى من أعطيه يا مولاي؟

الإمام ﷺ: عندما تصل إلى هناك اذهب في فجر اليوم الثاني إلى معبر الفرات، فإنه ستصل زواريق السبايا إلى هذا المعبر.

بشر: وماذا أفعل هناك؟

الإمام علي الهادي ﷺ: عندما يقوم النخاسون بعرض الجواري سيحضر وكلاء الأمراء والتجار لشراء الجواري والخدم، فإذا رأيت ذلك فابحث عن التاجر (عمر بن يزيد النخاس) وراقبه من بعد.



الإمام علي الهادي ﷺ: عندما يعرض الجواري التي عنده، تكون بينهنّ جارية تختلف عن بقية الجواري من حيث اللباس، فهي لابسة قطعتين من الحرير الكثيف لكي لا يرى جسمها أحد، وتمتنع عن أن تنزع حجابها ولا ترضى أن يمسّها أحد، فيضربها عمر النخاس عند ذلك، فتصرخ صرخة رومية.

بشر: أنا أعرف هؤلاء الأوغاد وأساليبهم الدنيئة، فهم لا يفكرون إلا في هتك ستور الضعيفات، لكي يحصلوا على الأموال، ولكن ماذا تقول ياسيدي حينما تصرخ بالرومية.

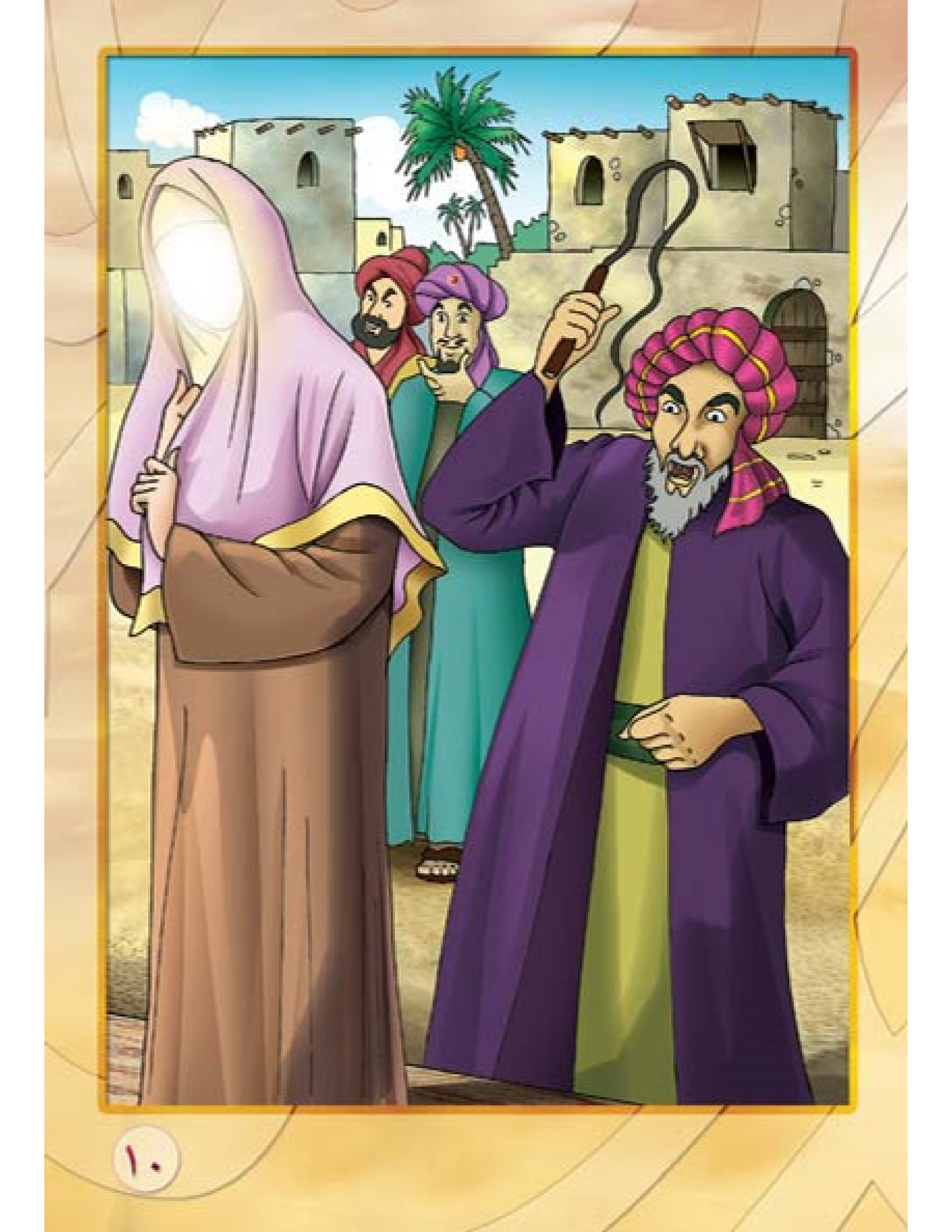
الإمام علي الهادي ﷺ: اعلم يا بشر إنها تقول: أموت ولا أهتك ستري، فيطمع في شرائها بعض التجار لشدة عفافها ويدفع فيها ثلاثمائة دينار.

بشر: وهل يشتريها الرجل؟

الإمام علي الهادي ﷺ: لا لأنها ستقول له باللغة العربية.

نرجس: لو ظهرت لي في ملابس الملوك ولبست ملابس النبي سليمان وجئت على مثل عرشه ما صارت لي فيك رغبة فاحفظ مالك من الضياع.

عمر النخاس: يا إلهي كيف سأحل مشكلة هذه الجارية العنيدة فلابد من بيعها وإلا خسرت أموالي.



نرجس: لا تستعجل أيها النخاس لابد من اختيار مشترٍ يرتاح قلبي إليه وإلى أمانته وديانته.

الإمام علي الهادي ﷺ: عند ذلك قم يا بشر إلى عمر النخاس وقل له: إن معي كتاباً لبعض الأشراف كتبه باللغة الرومية وبالخط الرومي، ووصف فيه كرمه ووفاه ونبله وسخاءه، فأعطه إليها لتتأمل منه أخلاق صاحبه فإن رضيت، فأنا وكيله في شرائها منك.

بشر: عرفت الآن مهمتي.

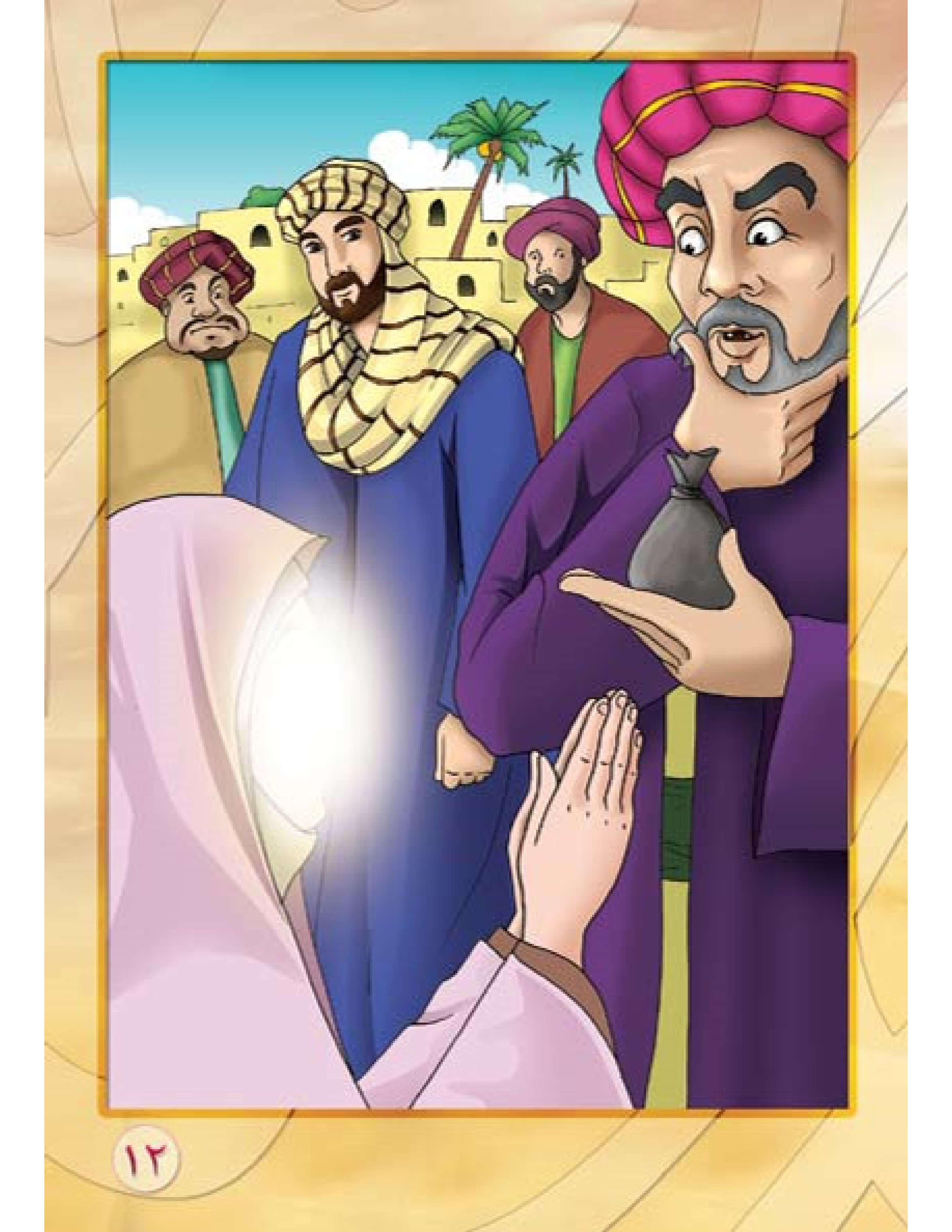
الإمام علي الهادي ﷺ: خذ هذه الصرة الصفراء فإن فيها مائتين وعشرين ديناراً وهو ثمن الجارية.

بشر: نعم يا مولاي.

الإمام علي الهادي ﷺ: قم يا بشر على بركة الله.

بشر: فذهبت في ليلتي وتهيأت للسفر وشددت الرحال إلى بغداد عند الفجر، ولما وصلت إلى هناك ذهبت في اليوم التالي إلى معبر الفرات وحدث كما قال سيدي ومولاي، فلما نظرت الجارية في الكتاب بكت بكاءً شديداً وقالت للنخاس.

نرجس: بعني لصاحب هذا الكتاب وإن لم تبعني إليه سأقتل نفسي.



بشر: فخشي النخاس أن تقتل نفسها وتذهب أمواله سدى، فاشتريتها منه بجميع الدنانير التي كانت في الصرة لم تزد ديناراً ولم تنقص ديناراً. ولمّا اشتريتها منه ضحكت واستبشرت، ثم أخذتها إلى سامراء فحدثتني بقصتها وإن اسمها نرجس وإنها ابنة قيصر ملك الروم فتعجبت من حكايتها وحملتها إلى مولاي الإمام علي الهادي ﷺ، فاستبشر بوصولها، وأرسل خادمه كافور لاستدعاء السيدة حكيمة بنت الإمام محمد الجواد ﷺ، فلما جاءت ودخلت على الإمام علي الهادي ﷺ.

الإمام علي الهادي ﷺ: يا بنت رسول الله ها هي نرجس.

بشر: فاستبشرت السيدة حكيمة واعتنقتها طويلاً وسرّت بها كثيراً.

الإمام علي الهادي ﷺ: يا بنت رسول الله اذهبي بها إلى منزلك وعلّميها الفرائض والأحكام فإنها زوجة ابني الحسن العسكري وأم المهدي ﷺ.

المصادر: كمال الدين باب ٩ ص ٤٤٥ ج ٢.

منتهى المقال ج ٣ ص ٦٣ ترجمة ١٠٤٩.

